أعمال ندوة
السيرة النبوية في الكتابات الإيطالية

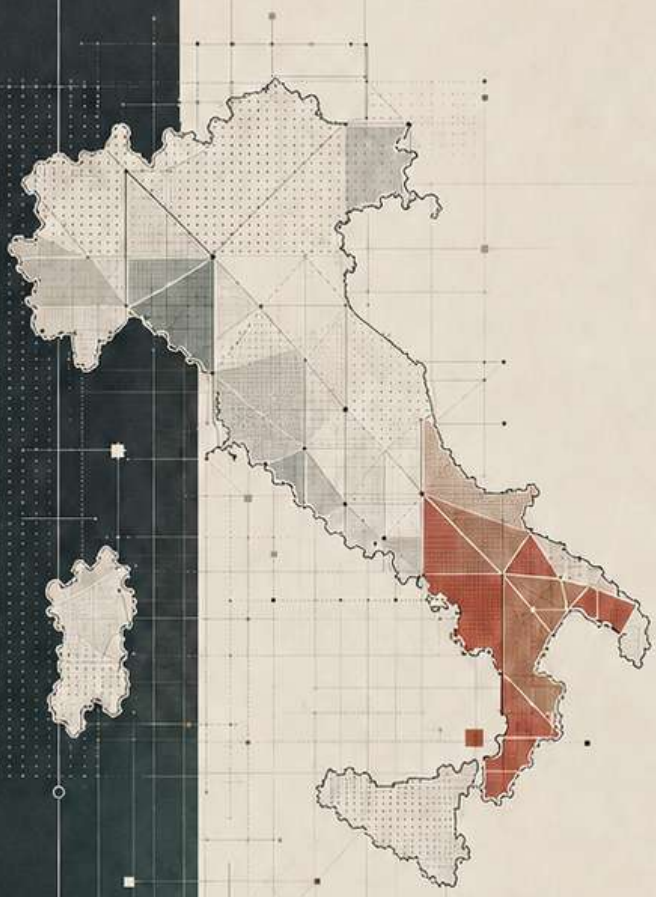

البحث الرابع عشر

ريكولدو دامونتي دي كروسي

(640-720هـ/1242-1320م)

وكتاباته المغرضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام

د. علي محمد عودة الغامدي
(جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية)

البحث الرابع عشر:

ريكولدو دامونتي دي كروسي (640- 720هـ/1242-1320م) وكتاباته المغرضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام

د. علي محمد عودة الغامدي

(جامعة أم القرى – مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،،، وبعد:

من الحقائق المُسلَّم بها، أن عصر الحروب الصليبية شهد موجة شديدة من الكراهية للإسلام، ونبي الإسلام، محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت تلك الكراهية، قد بدأت عشية الحروب الصليبية، وتصاعدت مع اندلاع الحروب الصليبية. وازدادت عنفاً وشراسة، بعد قيام الجبهة الإسلامية المتحدة، وسقوط مملكة بيت المقدس الصليبية، بعد معركة حطين سنة 583هـ/1187م. ومع تساقط بقية المعاقل الصليبية في بلاد الشام، على أيدي سلاطين المماليك، ظهر الكثير من الْمُنَصِّرِين والدعاة إلى شن المزيد من الحروب الصليبية ضد المسلمين، وشهد النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، عدداً كبيراً من الكُتّاب، الذين كتبوا عن الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كتابات شديدة العداء والتحامل، ورسموا لنبي الإسلام صورة معاكسة تماماً لصفاته وأخلاقه وشمائله. وجميعهم من الإسبان، والإيطالي ريكولدو. وكان لكتاباتهم أبعد الأثر في تشويه صورة الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، خلال القرون التالية. بل يمكن القول: إن تأثيرهم يصل إلى العصر الحاضر.

وُلد ريكولدو دامونتي دي كروسي (Riccoldo da Monte Di Croce) في "مونت يدي كروسي"، بجوار فلورنسة، في إيطاليا، حوالي سنة 640هـ/ 1242م. والتحق

بطائفة الرهبان الدومنيكان[1] في دير فلورنسة. وتعلَّم حتى صار أستاذاً للفنون والآداب، في دير سانت كاترين Convent of St. Catherine، في بيزا، في سنة 671هـ/1272م. وقد عاصر تساقط المعاقل الصليبية في بلاد الشام، على أيدي سلاطين المماليك.[2] الأمر الذي كان له أسوأ الأثر في نفوس الرهبان، ورجال الفكر، فازدادت الكراهية الهيستيرية للإسلام في الغرب.

وقد سافر ريكولدو إلى الشرق، فوصل عكا. ثم غادرها سنة 688هـ/1289م، متجهاً إلى الشمال، حيث تجول في مملكة أرمينية الصغرى. ثم اجتاز جبال طوروس، حيث وصل إلى قونية في آسيا الصغرى، للتبشير بالكاثوليكية. ثم غادرها إلى تبريز، وأمضى فيها ستة أشهر، داعياً إلى الكاثوليكية من خلال مترجم. وهو أول أوربي تغلغل بعمق، داخل البلاد الإسلامية. ومن تبريز ارتحل إلى مراغة، ثم عاد إلى الخلف، إلى كردستان، ثم نزل إلى الموصل، ومنها اتجه إلى بغداد. وشرع في تعلُّم اللغة العربية، وقد أجرى اتصالات عديدة مع بعض الأساتذة والطلاب المسلمين، الذين استقبلوه بحفاوة في بيوتهم، باعتباره رجل دين لا علاقة له بالحروب الصليبية المُشْرَعة ضد المسلمين، وحضر بعض حلقات الدروس في المدارس الإسلامية في بغداد. ويرى أحد الباحثين، أن ريكولدو حاول أن يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، إلا أنه شعر بالعجز – فيما يبدو –، فتخلى عن محاولته.[3]

---

[1] - عن نشأة طائفة الرهبان الدومنيكان، انظر بحث: الراهب الفرنسيسكاني ريموندلول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال أفريقية، علي محمد عودة الغامدي، (مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد السادس، المجلد الأول، 1998م، ص133–138).

[2] - Atiye. Aziz. S: The Crusade in the Later Middle Ages, (New York, 1970), pp. 158–159.

[3] - Baldwin. Marshal. W: "Missions to the East in the Therteenth and Fourteenth Centuries in Setton. K. M, A History of the Crusades, Vol. V (Wisconsin, 1985), pp. 463–464.

ويبيّن الباحث نفسه، محاولة ريكولدو ترجمة القرآن إلى اللاتينية. على أن ريكولدو، لم يطلع على ترجمة روبيرت أوف تشيستر (Robert of Chester)، وهي الترجمة التي قام بها الأخير سنة 537هـ/1045–1046م، لحساب بطرس المبجل (Peter the Venerable)، رئيس دير كلوني، وهي أول ترجمة إلى اللاتينية. وهي ترجمة سيئة جداً، حيث قام المترجم بالاختصار، والحذف، والإضافة، وإسقاط آيات بكاملها، وإضفاء الطابع اللاتيني على المعاني، مما أعطى صورة بشعة لمعاني القرآن الكريم. انظر عن ذلك:

وخلال إقامته في بغداد، سمع ريكولدو بسقوط عكا في أيدي المسلمين، سنة 690هـ/1291م. وشاهد بعض الأسرى النصارى، الذين أُرسلوا إلى بغداد، وبينهم عدد من الرهبان الدومنيكان. كما شاهد بعض الغنائم، التي وقعت بأيدي المسلمين، وجاء بها التجار لبيعها في بغداد، وضمنها بعض الذخائر والتحف المقدسة عند النصارى، وبعض كتبهم الدينية. واشترى ريكولدو بعض تلك الذخائر، للاحتفاظ بها. وكان لتلك الكوارث، التي حلَّت بالصليبيين، أسوأ الأثر في نفسه.[1] ومن تلك الحوادث، التي أثَّرت فيه غاية التأثير، أنه – حسب زعمه – وجد رداء راهب دومنيكاني، ممزقاً وملطخاً بالدم في سوق بغداد. ويبدو أن سقوط عكا ترتب عليه دخول بعض النصارى في الإسلام، الأمر الذي زاد من آلام ريكولدو، فكتب رسالة إنجيلية، تتصف بالألم والمرارة الكامنة في صدره، وزعم أنه يوجهها إلى الرب. وفيها يشكو: "أنه لا دومنيك القشتالي، ولا فرنسيس الأسيسي، ولا لويس التاسع، ولا الملوك الآخرين، ولا البارونات نجحوا في قهر الحيوان ماكوميت Machomete (لم يستطع كتابة اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشكل صريح)، بل على العكس تماماً، كان مستمراً يلتهم المسيحيين، ويكرههم على أن يتبرأوا من دينهم"[2].

Cabanelas. Dario Rodriguez : Juan de Segovia Y el Primer Alcoran trilingue, AL Andalus, Xiv (1949), pp. 158-160.

[1] - Atiya, op. cit. p. 159 ; Marshal, op. cit, p. 464.

[2] - Rohricht. R : Editor, (Letters de Ricoldo de Mont Croce Archives de L'Orient Latin, 2 (1884), pp. 268-269. Daniel. Norman : The Arabs and Mediaeval Europe. London, 1975. p. 209.

وجدير أن نشير هنا، إلى أن ريكولدو لم يستطع أن يكتب أو يلفظ اسم محمد صلى الله عليه وسلم، فهو يكتبه مثلما أشرنا في المتن ماكوميت (Machomete)، حيث لا يوجد في هذا الرسم حرف الدال وحرف الحاء. وهذا يذكرنا بنزول سورة (تبت يدا أبي لهب وتب)، حين جاءت أم جميل بنت حرب، امرأة أبي لهب، وهي تنشد: مذمم أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد، ومعه أبو بكر رضي الله عنه. فسألت أبا بكر إن كان النبي قد هجاها، فنفى ذلك. وكان الكفار من قريش، من شدة كراهيتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مذمم. وإذا ذكروه بسوء، قالوا: فعل الله بمذمم. ومذمم ليس اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفرح، لأن المشركين يسبّون مذمماً، فيقول: ((ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد)). انظر عن هذا: صحيح البخاري (فتح الباري)، طبعة القاهرة، 1409هـ/1988م، حديث رقم (3533)، ج6، ص641، 645؛ السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري، طبعة المدينة المنورة،

وعلى الرغم من أن ريكولدو كان له معرفة بلغات عديدة، مثل اليونانية والعبرية والسريانية، فقد ظل داعية تبشيرياً، أكثر منه عالماً غير متحيز، كما يقول أحد الباحثين المحدثين.[1] لذلك يجب أن يكون أمام أعيننا دائماً، ونحن ندرس مؤلفات ريكولدو، أن الهدف التبشيري هو الأول في نظره. ولن يتم النجاح في الهدف – حسب تصوره –، إلا بالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد عاد ريكولدو إلى فلورنسة، وانكب على تأليف كتبه، التي أشهرها كتابه الجدلي (Disputatio Contra Soracenos et Alchoranum)، ومعناه: الدحض المضاد لقرآن المسلمين. ثم ارتحل سنة 700هـ/1301م إلى البلاط البابوي، في روما، ليهديه إلى البابا بونيفيس Boniface الثامن[2] (1294–1303م). ومن مؤلفاته، مصنّف بعنوان: Itinerarium، دوّن فيه أخبار رحلته إلى الشرق، وآراؤه المغرضة عن الإسلام، ليكون مرشداً للحجاج الغربيين والصليبيين. كما صنّف كتاباً، بعنوان: (Libellus Contra Natioes Orientales)، وهو عبارة عن تشهير مضاد للأمم الشرقية. كما صنّف تشهيراً مضاداً لآثام اليهود، بعنوان: (Libellus Contra Judaeorum)، وجعله مناقشة لاهوتية مع المنشقين واليهود والمسلمين، حيث أبرز فيه أفكاره عن تنصير كل أمم العالم، وتحويلها إلى الكاثوليكية، بواسطة الحجة حسب زعمه. كما صنّف عدداً من الرسائل الإنجيلية، تتعلق بالثالوث، وانتصار الكنيسة، وتعكس بعض ظروف رحلته إلى الشرق.[3]

وأكثر ما يهمنا في هذا البحث، هو الكتاب الأول، الذي تصوَّر ريكولدو أنه سوف يدحض به القرآن، ويُبطل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولم يعلم ريكولدو، أن كتابه هذا، هو الذي سيبقى أبد الدهر داحضاً. فلم نسمع أن دحضه هذا، حال بين مسلم وبين

1412هـ/1992م، ج1، ص147–148. وهكذا صُرف ريكولدو عن كتابة الاسم الصحيح لمحمد صلى الله عليه وسلم، فكتبه ماكوميت. وهذا تحريف له عن نطق اسمه الحقيقي، وهذا من الإعجاز.

[1] - Marshal : op. cit. pp. 463–465.

[2] - Atiya : op. cit. p. 159 ; Daniel. Norman: Islam and the West, the making of an Image (Oxford, England, 2000), p. 423.

[3] - Atiya : op. cit. p. 159; Daniel : Islam and the West. p. 423; Marshal: op. cit, p. 463, note, 13.

دينه، أو منع مهتدياً من اعتناق الإسلام، بل ظل القرآن الذي يمثل المصدر الأول والرئيس لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، يهدي عبر القرون، مئات الملايين من البشر في جميع أرجاء المعمورة، دون أن يكون لمزاعم ريكولدو أي أثر – إلا على من كان على شاكلته في العداوة للإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم –، الأمر الذي يدحض ويُفنِّد مزاعم ريكولدو عن القرآن، وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى الرغم من العداء المقيت، الذي يكنّه ريكولدو للإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الحقيقة التي لا مراء فيها، أن هذا الكتاب ليس من ابتكار ريكولدو نفسه، وإنما اعتمد فيه أساساً على مصدر إسباني معروف. ذلك أن المصادر الإسبانية النصرانية المعادية للإسلام في العصور الوسطى، كانت المنبع الرئيس، الذي استقى منه الفكر الغربي رؤيته المشوهة، وتصوراته الملفقة عن الإسلام، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم. ويقرر أحد الباحثين الغربيين المحدثين هذه الحقيقة، ويصف إسبانيا النصرانية، بأنها كانت رأس الحربة للعنف والتعصب، وأن التفكير الإسباني حول الإسلام، كان عنيفاً ومتصلباً ومتعصباً.[1]

وذلك المصدر الإسباني، الذي اعتمد عليه ريكولدو بشكل رئيس، هو: The Contrarietas Elfolica، ومعناه: المضاد للفقهاء. ويبدو أن كاتب هذا الكتاب مستعرب إسباني، كتبه بالعربية، ولكن الأصل العربي لهذا الكتاب مفقود، بيد أن مارك الطليطلي Mark of Toledo، ترجمه في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إلى اللاتينية. وقد بقي من نسخة الترجمة اللاتينية، مخطوطة سقيمة، من أواخر القرن السادس عشر الميلادي. ولم يحظ هذا الكتاب بالانتشار في أوروبا، لكنه وصل إلى يد ريكولدو، فكان له أكبر الأثر في تأليف كتابه، الذي زعم أنه يدحض به القرآن، فاستخدمه بتوسع في دحضه، وخضع له خضوعاً عجيباً في حقده على القرآن، وعلى النبي صلى الله عليه

[1] - Southern. R. w: western Views of Islam in the Middle Ages, Harvard Universty Press, 1978, p. 19.

وسلم. وكان لكتاب ريكولدو بعد ذلك، أبعد الأثر في الجدل المضاد للإسلام، حتى العصور الحديثة.[1]

ومن عجب، أن المستعرب الإسباني لم يذكر اسمه الحقيقي على الكتاب، وجعله على لسان مؤلِّف مزعوم، ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية، فجعله يتحسَّر في الكتاب على ما أسماه (حماقته العمياء)، حيث ظل مسلماً زمناً طويلاً. لكن أحد الباحثين الغربيين المحدثين، كشف زيف هذا الادعاء، وأثبت أن الكتاب لم يكن لمرتد عن الإسلام، وإنما لمستعرب إسباني، أراد بهذا الادعاء أن يُكسب الكتاب سمعة كبيرة، ويوسع من انتشاره بين القراء الغربيين، لكن هذا الهدف لم يتحقق. وقد برهن هذا الباحث على زيف هذه الدعوى، التي أوردها المستعرب الإسباني على لسان المرتد، بأنه حج إلى مكة، وقدَّم أوصافاً لمكة، ومشاعر للحج غير مقنعة، ولا يمكن أن تكون صادرة عن شخص زار فعلاً مكة على أرض الواقع. ويضيف هذا الباحث، أن ما تضمنه ذلك المصدر الإسباني من حقد عميق للإسلام، لا يمكن أن يصدر من مسلم مرتد، حيث يستحيل أن يحمل ذلك الكم الكبير من الحقد على دينه السابق.[2]

والحق أن هدف ريكولدو في المقام الأول من دحضه، هو الجمهور الغربي المسيحي، بغية تقوية إيمانهم بدينهم، وتحصينهم إزاء مبادئ الإسلام، والحيلولة بينهم وبين اعتناقه.

ولا شك أن الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، منهج سار عليه كُتَّاب الغرب، منذ وقت مبكر بعد ظهور الإسلام. فقاموا بذلك عن طريق التشويه والتحريف والتلفيق، حتى يُظهروا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وكأنه ليس نبياً صادقاً مرسلاً من الله. وإذا أمكنهم أن يثبتوا ذلك – حسب تصورهم –، فإن (المبنى الإسلامي برمته يسقط)، كما يقول أحد الباحثين الغربيين.[3]

---

[1] - D'Alverny, M T. and VAJDA, G: Marcde Tolede, Traducteur d'ibn Tumart in Al Andalus, Vol. Xvi, Face 1 and 2, Vol Xvii, Face 1, 1951–1952; Daniel : Islam and the West, pp. 22, 30, 265, 266; Daniel : The Arabs and Mediaeval Europe, p. 238.

[2] - Daniel : Islam and the West, pp. 22, 30.

[3] - Ibid. p. 88.

زعم ريكولدو – زوراً وبهتاناً –، أن الإسلام مجرد خدعة شيطانية، ابتدعها الشيطان كي يمهد الطريق لمجيء المسيح الدجال، وذلك حين شعر الشيطان بعدم قدرته على إيقاف انتشار المسيحية، وأن الوثنيات بدأت تتهاوى أمام المسيحية، وأنه ليس في مقدوره دحض شريعة موسى وإنجيل المسيح، فابتدع ذلك الدين ليكون وسطاً بين النصرانية واليهودية. ويزعم ريكولدو، أن الشيطان الذي لم يستطع أن يتمه في آريوس[1] Arius، قد أنجزه في ماكوميت – يقصد محمد صلى الله عليه وسلم –. ويربط ريكولدو بشمولية صارمة، النبي صلى الله عليه وسلم مع كل الهرطقات القديمة، التي انشقت عن المسيحية، ومع اليهودية أيضاً، فيقول: "ماكوميت (Machomete) جحد الثالوث الأقدس مع سابيلوس (Sabellius)، واتفق مع أريوس ويونوميوس (Eunomius)، أن المسيح كان مخلوقاً متفوقاً على كل الآخرين، وهو علَّم مع كاربوكراتيس (Carpocrates) أن الرب ليس ابناً يُنقذ من الخطيئة... ومع كيردونيوس (Cerdonius) واليهود أنه إذا كان للرب ابن، فإنهما سوف يعرضان العالم للخطر بنزاعهما... وهكذا كل ما وزَّعه الشيطان هنا وهنا وبين الآخرين، جدّده كله بكامله في وقت واحد في ماكوميت"[2].

وبهذه المفتريات المعجونة بالحقد والطغيان، يحشو ريكولدو قلوب قرائه اللاتين، بكراهية الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، في وقت كانت فيه المشاعر في الغرب الأوروبي ملتهبة ضد الإسلام والمسلمين، خصوصاً بعد السقوط المدوي لبقايا الممتلكات الصليبية في بلاد الشام. ففي بداية فقراته الآنفة الذكر، زعم أن الشيطان هو الذي ابتدع

---

[1] - أريوس الذي ظهر في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، ونسبت طائفته إليه فأصبحت تُعرف بالأريوسية. وهو الذي قال بأن المسيح مخلوق بشر، وأنه ليس إلهاً، مما أثار عاصفة من الانشقاق داخل العالم المسيحي، فدعا الإمبراطور قسطنطين الكبير (306–337م) إلى عقد مجمع نيقية سنة 324م. وبعد نقاشات مطولة، رفض المجمع عقيدة أريوس، وتبنى عقيدة أثناسيوس، التي تقول بألوهية المسيح، وأنه أزلي غير مخلوق. وجرى نفي أريوس، وشجب عقيدته. انظر عن الأريوسية ومجمع نيقية:

Vasiliev, A.A: History of the Byzantibe Empire, 324–1453, Vol. I (Modison, 1978), pp. 54–57.

[2] - Riccoldo : Disputatio Contra Saracenos et Alchoranum, Prol, I and XIII ; Fratris Ricoldi de Monte Crucis Liber Pergrinacionis, in J. C. m. Laurent, Editor. Peregrinatores medii Quatuor (Lepzig, 1964), pp. 130–133 ; Grunebaum. Gustave. E. Von : Medieval Islam Astudy in Cultural Orientation (London, 1971), pp. 49–50 ; Daniel : Islam and the West, p. 212.

دين الإسلام. وإذا تأملنا هذه الفرية الزائفة، نجدها في الواقع تنتمي إلى المصادر الإسبانية. وأول مصدر إسباني قال بهذه الفرية، هي المقالة الإسبانية عن محمد صلى الله عليه وسلم. وقد ظهرت هذه المقالة المفتراة، والمشحونة بالأباطيل، في نافار النصرانية، في شمال بلاد الأندلس، في دير ليري (Leyre)، بجوار بنبلونه (Pamplona)، في أواخر القرن الثاني الهجري، أوائل القرن التاسع الميلادي. ولا يُعرف كاتبها، ويرجح ناشرها دياز (Diaz)، أنها من عمل أحد النصارى المستعربين. وقد نصت تلك المقالة، على أن إبليس تجسد لـ "ماهميث" (Mahmeth) – هكذا تلفظ اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم – في صورة الملاك جبريل، وأخبره بما كان قد سمعه في مدارس المسيحيين، وأمره أن يبشّر العرب ويدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان، وأن يعبدوا إلهاً مادياً في السماء، على شكل كرة مادية.[1]

أما زعم ريكولدو، أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد اتفق مع كل الهرطقات القديمة، ومع اليهودية، فهو قول قد قال به بطرس المبجل، رئيس دير كلوني في فرنسا، قبل ذلك بأكثر من قرن ونصف من الزمان، حين زعم – زوراً وبهتاناً – أن النبي صلى الله عليه وسلم "تقيأ كل حثالات الهرطقات القديمة، وتمسَّح فوقها بإفساد إبليس، فهو ينكر الثالوث الأقدس مع السبتين – أي اليهود –، وهو يرفض ألوهية المسيح مع نسطورس، وينكر موت المسيح مع ماني..."[2]. فجاء ريكولدو وأخذ عبارة بطرس المبجل، وطوّرها على النحو الذي رأيناه آنفاً.

ويحاول ريكولدو استثارة كل أتباع الكنيسة ضد الإسلام، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حين زعم أن الإسلام يشكل المجموع للاضطهادات الثلاثة، التي حلت بالكنيسة عبر تاريخها وحتى عصره، حيث كان الاضطهاد الأول من طرف الطغاة الوثنيين حتى عصر قسطنطين، وبدأ الاضطهاد الثاني من جانب الهراطقة، إلى حد أن علماء اللاهوت الكبار،

---

[1] - M. C. Diayz Y Diayz, (Los textos onti mahometanos mas antiguos en codices espanoles), in Archives d'histoire, Sothern : op. cit. p. 25 note 22; Daniel: Islam and the West. p.18; Kedar. Penjamin Z: Crusade and Mission, Eyropean Approoches Toward the Muslims (Princeton, 1988), p. 211.

[2] - Kritzeck. James: Peter the Venerable and Islam (Princeton, 1964), p. 136.

أمثال هيلاري (Hilary)، وأُغسطين (Augustine) وجيروم (Jerome)، وجريجوري (Gregory)، برزوا يُقارعونهم. وفوراً بعد جيريجوري، كان البروز للكارثة الثالثة، وهي خطر الرهبان الكذابين، الذين كانوا بعقول فاسدة ومنافقة، وتلك محنة سوف تستمر حتى شيخوخة الكنيسة. أما اضطهاد ماكوميت – يقصد النبي صلى الله عليه وسلم –، فقد كان الأكثر من الجميع.[1]

ويتحدث ريكولدو عن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، فيذكر أنه نشأ يتيماً أمياً فقيراً، ويزعم – زوراً وبهتاناً – أنه كان حقيراً بالأصل، سيء السمعة، وأنه كان عابداً مخلصاً للوثنية حتى سن الأربعين من عمره. ويستدل بتفسيره المحرَّف، لقول الله تعالى في سورة الضحى ((ووجدك ضالا فهدى))[2]، على زعمه الكذوب، ليقدّم لقرائه الهدف الذي يرمي إليه، وهو أن الشيطان يختار لتحقيق أهدافه في هدم الدين المسيحي، وثنياً موغلاً في الوثنية.[3] كما يُقدِّم ريكولدو وصفاً ملفقاً لنشاط النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، فيقول بأنه كان "نشيطاً في المسائل الشخصية، وبارعاً جداً، وأنه بزغ من وضاعة وفقر، إلى ثروة وشهرة، وأخذ ينمو شيئاً فشيئاً، ثم نشر بنفسه الرعب،، وأخذ يطارد جيرانه وقرابته وينصب لهم الكمائن، ويسرقهم ويسلبهم ويغزوهم. فقتل الكثير منهم، إما بسرّية، أو جهاراً"[4].

ويجب أن نلفت الانتباه هنا، إلى أن تلك الصورة المشوهة والملفقة، التي رسمها ريكولدو وأضرابه للإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، إذا كانت قد فشلت فشلاً ذريعاً في تنصير أحد من المسلمين، فإنها من ناحية أخرى، قد نجحت في صد الإسلام عن الانتشار في أوروبا في العصور الوسطى، حيث أصبحت الجماهير الأوروبية مقتنعة بتلك الصور الملفقة، والمعاكسة للإسلام، ولصفات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ونجحت في الاحتفاظ للغربيين بدينهم المسيحي.

---

[1] - Riccoldo : op. cit. prol. I ; Daniel : Islam and the West. p. 211.

[2] - سورة الضحى، الآية رقم (7).

[3] - Riccoldo : op. cit prol. XIII, XXXV ; Daniel : Islam and the West. pp. 104, 106, 107.

[4] - Riccoldo : op. cit. prol. XIII ; Daniel : Islam and the West. pp. 113, 114.

أما تهمة داء الصرع الباطلة، ومفادها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعاني من نوبات صرع دائم، والتي سبق أن اختلقها المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (Theophnis)، المتوفى سنة 202هـ/817م، وانتقلت إلى الغرب، عندما ترجم انستاسيوس[1] (Anastsius)، أمين مكتبة البلاط البابوي كتاب ثيوفانس من اليونانية إلى اللاتينية، في سنة 259هـ/873م[2]، فقد تلقّفها ريكولدو، وأوردها في كتابه دون ذكر اسم المؤرخ البيزنطي، لكنه أسهب فيها كثيراً، وزعم أنها رواية موثوقة وحقيقية.[3]

ويتناول ريكولدو الآية الأربعين من سورة الأحزاب، التي يخبر الله تعالى فيها بأن نبيه محمداً، رسول الله، وخاتم الأنبياء، بقوله: ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيّين))[4]، فيقول: "إن ماكوميت يدعي أنه الأخير والختام، والصمت لجميع الأنبياء". ثم يُعلّق ساخراً: "إذا كان الأمر كذلك، فإن يد الله تبدو وكأنها قاصرة، حيث توقفت عن أن تمنح الروح النبوية"[5].

ويظل ريكولدو في السورة نفسها أمام الآية السادسة والخمسين، عند قوله تعالى: ((إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما))[6]، الذي يعني أن صلاة الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، هو ثناؤه عليه بين ملائكته، وفي الملأ الأعلى. ولكن ريكولدو يقدم معنىً مغرضاً للآية، فيزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم، يصوُّر الله وكأنه يتضرع إليه. ويُعلِّق بأن هذه المقولة، لا يمكن أن تصدر عن

---

[1] - Theophanis, Chronographia: Vol. I. In. Corpus. Scriptorum Historiae Byzantineae (Bonnae, 1897), p. 516.

[2] - Anastasius Bibliothecarius, Chronographia Tripertita, in Theophanis Chronographia, Editor. C.D Boor, Vol. p.32-33.

[3] - Riccoldo: op. cit. XIV; Daniel: Islam and the West, p. 47.

[4] - سورة الأحزاب، الآية رقم (40).

[5] - Riccoldo : op. cit. prol. VIII.

[6] - سورة الأحزاب، الآية رقم (56).

نبي من الأنبياء، ويعتبر أن هذا القول يدل – بزعمه الكذوب – على السخف الذي يتصف به القرآن.[1]

ويقف ريكولدو أمام الآية السادسة من سورة الصف، التي قال الله تعالى فيها: ((وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين))[2]، فيورد معنى للآية، ويُنكر بالكامل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقول: إن هذا ليس مكتوباً في الإنجيل، والمسلمون لا يقبلون الإنجيل، ويزعمون أنَّا حرفناه. ثم أخذ يناقش دعوى أن النصارى حذفوا اسم النبي، ويتساءل: "كيف حُذف اسم ماكوميت، واستبقيت أسماء أخرى لأناس سيئين، مثل: هيرود، ويهوذا الأسخريوطي، والكاهن الأكبر، وغيرهم"[3]. ويسهب ريكولدو في الرد على دعوى تحريف الإنجيل، ويقول: كيف حدث الاتفاق في جميع أنحاء العالم على كتمان الإنجيل الأصلي المزعوم.. وكيف استطاع اللاتين واليونانيون أن يتّفقوا مع المنشقين من النساطرة واليعاقبة، قبل عصر ماكوميت (Mochome)، على كتمان اسمه، وهم يعارضون بعضهم بعضاً. وكان للمنشقين نص خاص، باللغة الكلدانية، والعبرية. وطالب ريكولدو المسلمين، أن يقدموا ترجمة قديمة، تعارض تلك التي تتفق عليها جميع الطوائف المسيحية.[4]

من الحقائق المسلم بها، أن معظم سور القرآن الكريم، قد أُنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة. وكانت القضية الكبرى والمحورية، التي ركّز عليها القرآن في معظم سوره وآياته المكية، هي قضية أن "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، أي التوحيد المطلق، والخالص لله تعالى، وإفراده بالعبادة، وعدم صرف شيء منها لغير الله. فالوحدانية المطلقة، هي القضية الأساسية، التي قامت عليها دعوة الأنبياء عليهم السلام، من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم. فالشرك بالله، هو الظلم العظيم، الذي لا تنفع معه الأعمال

---

[1] - Daniel : Islam and the West, p. 87.

[2] - سورة الصف، الآية رقم (6).

[3] - Riccoldo : op. cit. III ; Riccoldo : Itinerarium, XXXIV.

[4] - Riccoldo : Disputatio III ; Itinerarium, XXXIV.

الصالحة أبداً، حتى ولو كانت تلك الأعمال مثل الجبال، قال تعالى: ((مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد))[1]. كما أن القرآن الكريم، لما عرض قصص الأنبياء مع أممهم، إنما كان يعرض من خلال ذلك، التوحيد وأهميته في حياة البشر. ولا تكاد توجد سورة في القرآن، إلا وفيها ذكر أو إشارة إلى أهمية وحدانية الله تعالى.

ولهذا كله، فقد كره ريكولدو شهادة: أن لا إله إلا الله، كراهية مقيتة، قادته إلى الجنوح والطغيان في تعليقه على الآيات والسور، التي تتحدث عن وحدانية الله جل وعلا، فقال: "ماذا يعني ماكوميت (Machomete) في تلك الأحوال الكثيرة، التي يؤكد فيها، ويؤكد كاتباً عن نفسه: آمنوا بالله والرسول، وأطيعوا الله والرسول، اتبعوا الله والرسول. نظراً لأننا نعرف، أنه للرب وحده ندين بالإيمان والعقيدة، والإجلال بالعبادة، والعمل بإذعان، والإتباع لسبيل الرب. فهو وحده في البداية، وفي النهاية. لذلك لا يملك أحد أن يجرؤ، أن يقول هذه الأشياء، لكي يضم نفسه في مثل هذا الأسلوب، وفي هذه المسائل مع الرب. فهذا لا يستطيع أن يفعله زميل مع زميله، ولا رفيق مع رفيقه". ولما كانت عبارة: لا إله إلا الله، تتكرر كثيراً في القرآن، وتدين النصارى بالشرك بالله، فقد ثار ريكولدو وفقد صوابه، فقال: "ماكوميت يضع هذه العبارة في قرآنه أكثر من مائة مرة، فهذه قضية صادقة ومسلم بها، فقد فهمنا أنه: لا إله إلا الله، وأنه لا كلب إلا كلب، ولا حصان إلا حصان"[2].

ويظل ريكولدو في تحامله المقيت، وفهمه السقيم، لآيات القرآن الكريم، ويصب جام غضبه على ما جاء في القرآن، من آيات تخبر بأن الأنبياء السابقين جميعاً كانوا مسلمين، وما أمر الله به رسوله في الآيتين 162-163 من سورة الأنعام، حيث قال: ((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين))[3]، فيعلق قائلاً: "ماكوميت نفسه قال، بأن نوحا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبنائه

---

[1] - سورة إبراهيم، الآية رقم (18).

[2] - Riccoldo : Disputatio VIII. XV ; Itinerarium, XXVI. XXX ; Daniel : Islam and the West, pp. 64-65.

[3] - سورة الأنعام، الآيتان (162-163).

كانوا مسلمين، ثم هو نفسه قال بأنه أُمر بأن يكون المسلم الأول". ويتساءل ريكولدو بخُبْث، محاولاً رمي القرآن بالتناقض، فيقول: "كيف كان أولئك الأنبياء قبل ماكوميت مسلمين، إذا كان هو المسلم الأول"[1]. وهذه حجة سخيفة؛ لأن المسلمين جميعاً يعلمون أن المقصود به هو المسلم الأول من أمته. لكن ريكولدو يكرر حجته السخيفة، قائلاً: "هو يقول الشيء نفسه عن نوح: بأنه كان مسلماً، وأن الطوفان ما جاء إلى الأرض إلا بسبب أنه بشَّر إلى الناس بأنه يجب أن يصبحوا مسلمين وهم رفضوا، وهذا كذب على نحو واضح، إذ كيف يمكن لنوح الذي سبق ماكوميت بألفين وخمسمائة سنة أن يكون مسلماً، مع أن ماكوميت نفسه قال بأنه كان هو المسلم الأول في العالم"[2]. ويفترض ريكولدو حجة من عنده على لسان المسلمين، ثم يرد عليها فيقول: "يمكن للمسلمين أن يقولوا فوق ذلك: إن إبراهيم ونوحا كانا مسلمين، لأن المسلمين ينحدرون منهما؛ وهذا التفسير مناقض للقرآن، حيث يقول: إن إبراهيم ما كان نصرانياً ولا يهودياً، بل كان مسلماً فقط، فهنا يتضح أنه مثلما المسلمون ينحدرون من إبراهيم، كذلك اليهود والنصارى ينحدرون منه"[3].

ويواصل ريكولدو هجومه المقيت على القرآن، محاولاً إقناع قرائه اللاتين، أنه من اختلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيزعم أن القرآن متناقض مع الكتاب المقدس، وأنه متعارض مع نفسه، وأنه ينقض بعضه بعضاً، وأنه كتاب غير عقلاني. ويزعم – كاذباً –، أن مما يدل على أن القرآن ليس وحياً إلهياً، أن بعض فصوله – يقصد سوره – أسماء لا عقلانية، مثل: البقرة، والنمل، والعنكبوت، والنحل، والدخان. وأن هذه الأسماء غير لائقة على وحي إلهي، وأنه مليء بالأشياء التي ليست جديرة بالاحترام والإجلال. ثم يستدرك قائلاً: صحيح أن الرب هو العظيم، والعلي، والحكيم، والخبير، وأن له ما في السماوات والأرض وما بينهما، وأنه يحكم بعدل، لكن مثل هذه العبارات مكررة أكثر مما ينبغي، وغير

---

[1] - Riccoldo. Disptatio, III. IV. IX.

[2] - Ibid.

[3] - Ibid.

ضرورية... وعلاوة على ذلك، فإن القرآن كان فاحشاً – بزعمه الكذوب –، حيث يستخدم كلمات هائلة مثل كلمة جماع.[1]

ويزعم ريكولدو – معتمداً على مصدره الإسباني –، أن القرآن تعرض لتنقيحات وتغييرات مختلفة، من قبل القراء، [يقصد القراء السبعة: حفص، وورش، وأصحابهما]. ويدَّعي أنهم كانوا يقاتلون بعضهم بعضاً، حتى الموت. كما يورد رواية مضطربة، مفادها أنه لم يوجد قرآن واحد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن قام أبو بكر بالبحث عن عدة نسخ مختفية، فاعتمد واحدة، وأحرق بقية النسخ. ثم يورد مزاعم مضطربة ومشوشة وملفقة، حول جمع القرآن وكتابته، ليخلص إلى أن القرآن جمع كيفما اتفق، من وثائق بشرية، وتحت ظروف مظلمة بشدة.[2] وهدف ريكولدو من ذلك، أن يشوه صورة القرآن في عيون قرائه اللاتين، بعد أن علم بأهمية القرآن الفريدة عند المسلمين. ذلك أن مما أثار حفيظة ريكولدو وغضبه، ما صرح به قائلاً: "إن المسلمين لا يقتنعون بأن القرآن كتاب ماكوميت، بل يقولون إنه كلمة الله بحق، ويحاولون دائماً أن يبرهنوا على أنه عمل الله، وليس عمل البشر". وأكثر ما أثار حقد ريكولدو، الآية التاسعة من سورة الحجر: ((إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون))[3]. فظل يردد أكاذيبه الساقطة، بأن القرآن زائف، وأنه ليس كلام الله، خصوصاً بعد أن سمع المسلمين في رحلته يضحكون على عقيدة الثالوث، التي نفاها القرآن، وأثبت وحدانية الله تعالى، ورأى إجماع المسلمين، واعتقادهم جميعاً أن القرآن كلام الله، الذي أوحاه إلى نبيه[4] محمد صلى الله عليه وسلم.

وعندما واجه ريكولدو آية التحدي الكبرى في القرآن، التي قال تعالى فيها: ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا))[5]، والتي تبين أنه كتاب الله الخالد، وأنه المعجزة الباقية الخالدة، التي لا يستطيع

---

[1] - Ibid. XVII, cf, III ; Daniel : Islam and the West, p. 78.

[2] - Riccoldo : Disputatio, X 111 ; Daniel : Islam and the West, p . 55.

[3] - سورة الحجر، الآية رقم (9).

[4] - Riccoldo : Itinerarium, XXXIII. XXXV ; Daniel : Islam and the West, p. 50.

[5] - سورة الإسراء، الآية رقم (88).

الإنس والجن أن يأتوا بمثله، ولو تظاهروا أو تعاونوا على ذلك، فإنهم عاجزون عجزاً مطلقاً عن الإتيان بمثله، تقيأ ريكولدو – عندئذ – حقده الأسود، وضلاله المطبق، وجهالته المركبة، وقدَّم معنى لهذه الآية العظيمة، لقرائه اللاتين، بهذا الشكل: "ماكوميت قال: إنه لا ملائكة ولا شياطين، يمكن أن يعملوا كتاباً كهذا". ثم علَّق متفكّهاً ساخراً، بالقول: "الملائكة لن يكتبوا كتاباً مملوءاً بالأكاذيب والتجديف على الله والفحش، لكن طبعاً الشياطين بالذات، يمكن أن يعملوه بسهولة"[1]. وحاول ريكولدو أن يجعل من بلاغة القرآن الرفيعة، وإعجازه اللغوي الفريد، وسمو عبارته، وتفرد أسلوبه، دليلاً على عدم صدقه، حيث علَّق على الإعجاز اللغوي في القرآن، بقوله: "يفاخر العرب والمسلمون بهذا، سيما وأن البيان والأسلوب بلغتهم يكون موزوناً، وهم يقولون بجلاء: إن الله جعل ذلك الكتاب الموحى به كلمة كلمة، إلى ماكوميت (Machomete)؛ لأنه كان غير مثقف، ولم يعرف كيف يخترع هذا الأسلوب، وهذه الآراء... لكن الضد الفعلي لهذا، هو الصدق. فالشرائع السماوية، لا تكون مثل هذا مطلقاً؛ فلا العهد القديم، ولا العهد الجديد، جاء في تعبير موزون، من الأنبياء الآخرين، الذين سمعوا صوت الرب. نحن أُخبرنا، أنه لا أحد قال: إن الرب تحدث بنظم. أيضاً الفلاسفة، يترفعون أن يفعلوا ذلك أيضاً. القرآن نفسه، اعترف بأن النبي أُتهم بكونه حالماً وشاعراً، وليس نبياً"[2]. ولسنا بصدد تفنيد، هذه المقولات الزائفة. ونكتفي بإيراد تفنيد جوستاف جرونيباوم، الذي اقتبس هذه العبارة في كتابه، وردَّ عليه في الحاشية بقوله: "من الغريب أن يجهل ريكولدو وجود الوزن الشعري في مقدار كبير من العهد القديم، وهي الميزة التي كانت في معظم الأحيان محل اعتراف كبار آباء الكنيسة السابقين. انظر على سبيل المثال، مقدمة جيروم لسفر أيوب، وما حوته من تحليل للأوزان الشعرية الواردة فيه، وما أتبعه من ملاحظات عن علم العروض العبراني"[3].

---

[1] - Riccoldo : Disputatio, IX ; Daniel : Islam and the West, p. 80.

[2] - Riccoldo : Itinerarium, XXXV ; Fratries Ricoldi de Monte Crucis : op. cit in J. C M. pp. 130-135 ; Daniel : Islam and the west, p. 81 ; Grunebaum : op.cit. pp. 99-100.

[3] - Grunebaum : op. cit. P. 100, note 95.

ولم يقتصر ريكولدو على الطعن في لغة القرآن وأسلوبه فحسب، بل حاول أن يحاكم المقاطع القرآنية، بفهمه السقيم لمقاييس الكتاب المقدس عند أهل الكتاب، فزعم أن القرآن يتصف بالانعدام المفترض للنظام، وأنه ليس به ترتيب بالعهود للملوك، مثلما هو الحال في العهد القديم، وليس به ترتيب قصصي، حيث يبدأ بإطراء الله وبعدئذ ينزلق نحو وسط الأشياء، دون ترتيب بموضوع البحث، حيث ينتقل من موضوع غير متصل بالبحث، إلى آخر بلا ترتيب منطقي، بسبب أنه ينبثق من أشياء صادقة إلى أشياء كاذبة غير متصلة بها، مثلما يقول صادقاً: الله كريم، ثم يقول كاذباً: إن القرآن شريعة الخلاص.[1]

وعند مرور ريكولدو بقول الله تعالى في سورة الإسراء: ((وما مَنَعَنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون))[2]. علَّق بقوله: "موسى والمسيح لم يُصدَّقوا، لذلك لم يأذن الرب لماكوميت (Machomete) بمعجزات، فجاء بقوة الأسلحة". ثم أخذ يقارن – حسب زعمه بين المسيحية والإسلام، مدعياً أن المسيحية انتشرت في العالم بالإقناع والمنطق، سواءً بمساعدة معجزات، أو بدون ذلك، وأن أهم شيء، انتشرت به، هي نكران الذات، وما قامت عليه من معجزات مدهشة، بينما الإسلام – بزعمه – انتشر بحد السيف.[3]

ويتناول ريكولدو معجزة انشقاق القمر، ويزعم أنها منافية للعقل، وأنها مجرد خرافة يؤمن بها المسلمون؛ لأن القرآن – بزعمه – لا يذكر أن ماكوميت أعطى أوامره للقمر فانشق. وأن معنى الآية، أن القمر سوف ينشق يوم الحساب. وزعم ريكولدو في رحلته، أن المعجزة مجرد ادعاء من جانب المفسرين المسلمين؛ لأن القرآن ينفي المعجزات لـ "ماكوميت". وظل ريكولدو يواصل حديثه في إنكار هذه المعجزة، زاعماً أن القمر أكبر من الأرض، وأن المسلمين يقولون أن نصفه وقع على جبل واحد، وقال بأنه لا يمكن حدوثه، وأنه مجهول لجميع العالم، ولم يُسجَّل.[4]

---

[1] - Riccoldo: Disputatio, XI ; Itinerarium, XXXI ; Daniel: Islam and the West, p.81.

[2] - سورة الإسراء، الآية رقم (59).

[3] - Riccoldo : Disputatio, VII. VIII ; Daniel : Islam and the West, p. 96.

[4] - Riccoldo : Itinerarium . XXXIII ; Daniel : Islam and the west . pp. 96-97.

وظل ريكولدو يهاجم النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، عبر هجومه على القرآن، فزعم أن شريعة القرآن غير عقلانية، وأنها تتصف بالاضطراب، والظلام، والخيانة، وعدم الثبات؛ وأنها ليست مؤيدة بالمعجزات – حسب زعمه –، نظراً لضعف وفسق مؤسسها. فهي – بزعمه الكذوب –، تناقض نفسها وتكذب، وأنها ظالمة، وأن صاحب الشريعة ماكوميت (Machomete) اقترف الآثام الجنسية؛ "لأن الروح القدس لا يلمس قلوب الأنبياء في العمل الجنسي، كما يقول القديس جيروم"[1].

وصبّ ريكولدو حقده المسموم على النبي صلى الله عليه وسلم، عندما مرّ بقوله تعالى: ((وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا، وكان أمر الله مفعولا))[2]. فقد نزلت هذه الآية في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة، رضي الله عنهما.[3] إذ شاء الله تعالى أن يحمل نبيه بعد ذلك، مؤنة إزالة آثار التَّبني، فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة، ويواجه المجتمع بهذا التشريع الجديد، الذي يزيل العرف القديم، الذي يقضي بأن زوجة الابن المُتَبَنَّى، كانت تحرم على الوالد المُتَبَنِّي، كما تحرم زوجة الابن من الصلب. وقد أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن زيداً سوف يطلق زينب، وأنه هو الذي سوف يتزوجها. فلما اضطربت العلاقة الزوجية بين زيد وزينب، جاء زيد يشكو للنبي صلى الله عليه وسلم من زينب، ويطلب الإذن بفراقها، فقال النبي لزيد – الذي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم النبي عليه بالعتق والحب –: أمسك عليك زوجك؛ أي أبق زينب في عصمتك، ولا تطلقها، واتق الله في أمرها. وما كان يخفيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه، هو علمه أن زيداً سوف يطلقها، ويتزوجها هو، ليبطل آثار حكم التَّبنيّ. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى، ويتحرج من كلام الناس، لاسيما المنافقين،

---

[1] - Riccold : Disputatio, VIII, CF. XIII ; and Itinerarium, XXXV ; Daniel : Islam and the West, p. 92.

[2] - سورة الأحزاب، الآية رقم (37).

[3] - البخاري (فتح الباري)، كتاب التفسير، حديث رقم (4787)، ج8، ص383.

بأن يقولوا: تزوج امرأة ابنه. وأخيراً، طلق زيد زوجته زينب. ولما انقضت عدتها، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

وكان أول من افترى على النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة، هو يوحناً الدمشقي (40-131هـ/ 660- 749م)، أحد نصارى الشام، الذي عاش في العصر الأموي، وكتب مؤلفات عديدة، منها فصل عن النبي صلى الله عليه وسلم، تحت عنوان: (هرطقة الإسماعيليين). وهو أول من اتهم النبي صلى الله عليه وسلم في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها، وزعم أنه وقع في حبّها، واقترف معها الزنا.[2] وانتقلت هذه الفرية إلى معظم الكتَّاب الغربيين في العصور الوسطى، فهاموا بها، وتوسعوا في شرحها، وأضفوا عليها الكثير من الخيالات الجامحة[3]، وعلى رأسهم ريكولدو، الذي تلقّف فرية يوحنا الدمشقي عبر مصدره الإسباني، وأشار إلى هذه الآية، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال في القرآن: "الرب أمرني أن أرتكب هذا الزنا"[4]، وعلق قائلاً: "الذي يبرّر الزنا باسم الرب، كان يخفي الأصغر بواسطة الأعظم"[5].

---

[1] - أحكام القرآن، ابن العربي، ج3، ص460؛ تفسير ابن كثير، ص1060؛ فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب التفسير، ج8، ص383-384؛ تفسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، ص655-666.

[2] - Migne : Patrologiae Cursus Comletus. Series Graeca Prior editon. by Jacques Paul Migne, 1857-1866, Volume, 94, Colmns, 769-771 ; Sahos, D. J: JOHO OF Damascus on Islam the Heresy of Ishmaelites (Leidem, 1973), p. 137-139.

[3] - ومنهم على سبيل المثال، الراهب الإيطالي فيدينزو أف بادوا (Fidenzio of Padua)، الذي كان معاصراً لريكولدو، وزار بلاد الشام في النصف الأخير من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأخذ الفرية وصاغها على الشكل التالي: "كان هناك رجل معروف يدعى سايدوس – زيد –، وكان له زوجة تدعى سيبيب – زينب –، كانت من النساء الجميلات، اللائي عشن على الأرض في أيامها. فسمع محمد بشهرة جمالها، واشتعل بالرغبة فيها، وأراد أن يراها، فجاء إلى منزل المرأة في غياب زوجها، وسأل عن زوجها. هي قالت: يا رسول الله، ماذا تريد، لماذا أنت هنا؟ زوجي ذهب إلى الخارج في العمل. وهذا لم يكن مخفياً عن زوجها، هو عندما عاد إلى بيته قال لزوجته: هل كان رسول الله هنا؟ هي أجابت: هو كان هنا. هو قال: هل رأى وجهك؟ هي أجابت: نعم، هو رآه، وهو أيضاً سهَّرني وقتاً طويلاً. هو قال لها: أنا لا أستطيع أن أعيش معك وقتاً أطول من هذا". انظر:

Daniel : Islam and the west, p. 119.

[4] - Riccoldo : Disputatio, XII ; Daniel : Islam and the west, p. 121.

[5] - Riccoldo : Disputatio, XIII ; Daniel : Islam and the west, p. 51.

وتناول ريكولدو سورة التحريم، وجعلها فرصة ليؤكد مزاعمه الباطلة، بأن القرآن من اختلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقدَّم صدر السورة على الشكل التالي: "... أنت تتطلع بمهارة أن ترضي زوجاتك، الآن اشترع الله لأجلك، حتى يجيز لك أن تصبح حراً في إيمانك". ثم علّق ريكولدو بقوله: "ماكوميت (Machomete) يوبخ نساءه، كل اللائي اتبعنه في فصل – سورة – التحريم، وكأنه بالذات من الله، هو قال: كن تائبات أمام الله نظراً؛ لأن قلوبكن تحولت بعيداً. مشيراً إلى الافتراء، الذي كن فعلنه ضده، بمادة قذرة. وهناك يُعقّب مباشرة: "إذا هو ربما يطلقكن، الله سوف يعطيه أحسن منكن، مسلمات، مؤمنات، موثوقات، تائبات، حريصات على الشعائر والصلاة، عاملات بجد وأبكاراً. وعندما هنّ سمعن ذلك، قُلن نحن تائبات". ويخلص ريكولدو من عرضه هذا، إلى القول: "إن ادعاء ماكوميت للوحي، لكي يُبرّر لنفسه. أما التجديف على الله، فهو الأسوأ من الجميع، بالقياس إلى جرائمه الأخرى"[1].

وقد وقف ريكولدو أمام الآية 230 من سورة البقرة، التي قال الله تعالى فيها: ((فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجا غيره، فإن طلّقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله، وتلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون))[2]. والمقصود بالآية، أن الزوج الذي طلق للمرة الثالثة، أن مطلقته لا تحل له أبداً، حتى تنكح زوجاً غيره. والمقصود من الزوج الثاني، أن يكون راغباً في المرأة، قاصداً لدوام عشرتها، كما هو المشروع من التزويج.[3] أما ما زعمه ريكولدو، وسمّاه شريعة الاستحلال، أي أن تتزوج المطلقة زوجاً آخر بقصد تحليلها للأول، فهذا أمر حرّمه الإسلام، وجاءت الأحاديث والآثار بذمّه ولعنه. ومتى صرَّح بمقصوده في العقد، بطل النكاح عند جمهور الأئمة، وقد لعن الرسول صلى الله عليه وسلم المحلِّل والمحلَّل له، في أحاديث كثيرة.[4]

---

[1] - Riccoldo : Disputatio, XI ; Daniel : Islam and the west, pp. 122-123.

[2] - سورة البقرة، الآية رقم (230).

[3] - تفسير ابن كثير، ص182؛ تفسير عبد الرحمن السعدي، ص 103.

[4] - تفسير ابن كثير، ص 182-183.

لكن فرية الاستحلال هذه، أصبحت محل اهتمام الكُتَّاب الغربيين في العصور الوسطى، فزعموا أن الاستحلال من شرائع الإسلام، وهاجموها على هذا الأساس.[1]

وقد تعامل ريكولدو مع هذه الفرية – فرية الاستحلال –، التي لا تمت لشريعة الإسلام بصلة، فاعتبرها من شرائع الإسلام، وتعامل معها بكراهية مقيتة، متّبعاً مصدره الإسباني. واستخدمها بوصفها شريعة جديرة بالازدراء؛ لأنها تمثل خزياً وعاراً، وتحايلاً شرعياً، ودليلاً على قذارة الشريعة الإسلامية، بزعمه الكذوب. ومما قاله في هذا: "الرجال الذين يريدون أن يُحدثوا تسوية لهذا النوع، يدفعون أجراً لرجل أعمى، أو شخص وضيع، إلى حد ما، وبالتالي يجب يقاسي المرأة جسدياً، أي يجامعها. وبعد ذلك، يثبت علانية، ويقول: إنه يريد أن يطلقها. وإذا هو فعل ذلك، يستطيع الزوج الأول أن يستميلها لنفسه. أحياناً قد يحدث أن الزوجين الجديدين، يلاءم بعضهم بعضاً، ويقولان: إنهما لا يريدان أن ينفصلا. وبعد ذلك، الزوج الأول يصبح محزوناً، لما أصابه من خيبة الأمل، بضياع زوجته، وأجرته المفقودة"[2].

ويرمي ريكولدو شريعة الإسلام بالإباحية، ويهاجم بعض الممارسات الخاطئة، التي ربما سمع بها في رحلته إلى الشرق، إبان العصر المغولي، وينسبها للإسلام، فيقول: "القرآن يقول الزنا محرم، لكن بيع وشراء معين مسموح به. وأيضاً، هو لا يكون محرماً، أن الرجل يفعل مثلما يشتهي في ملك يمينه... وهكذا، حتى أن مسلمين يذهبون إلى بيت دعارة، ويقولون لصاحبة الماخور: أنا أشعر بشهوة، لكن ليس مسموحاً لي أن أزني، بيعي نفسك لي. بعد ذلك، هو مسموح له أن يفعل معها، مثلما يفعل مع ملك يمينه، حيث يقول: طبقاً لديننا الإسلامي. وهكذا هو، يضطجع معها غير مضطرب". ويزعم ريكولدو أنه يوجد في القرآن، إشارة تسمح بهذا.[3]

ليس هذا وحسب، بل يزعم ريكولدو – كاذباً –، أن القرآن سمح باللواط. وقد استمد ريكولدو هذه الفرية، من بعض المصادر الإسبانية، التي حرّفت معنى آيتين في القرآن

---

[1] - Daniel : Islam and the west, pp. 158-163.

[2] - Riccoldo : Disputatio, XIII ; and Itineraeian, XXXIV.

[3] - Riccoldo : Disputatio, XIII ; Daniel : Islam and the west, pp. 162-163.

الكريم، لتشويه صورة الإسلام بهذه الفرية. أما الآية الأولى، فهي قول الله تعالى: ((نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم))[1]. فقد فسَّرت المصادر النصرانية الإسبانية، عبارة (فأتوا حرثكم أنى شئتم)، بمعنى: فأتوهن في أدبارهن. والآية الأخرى، هي قوله تعالى: ((ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم))[2]. حيث قدمت تلك المصادر الإسبانية، عبارة (وإن تخالطوهم)، بمعنى: تمارسوا معهم اللواط.[3] وقد التقط ريكولدو هذا المعنى المغرض، فتناوله وأبرزه، باعتباره رذيلة غير طبيعية، تبرز بين التناقضات في القرآن، حسب أكاذيبه الساقطة. كما زعم، أن القرآن شجب اللواط في قوم لوط، في السورة نفسها. وهذا يدل على الخلط، وعدم الفهم من جانب ريكولدو؛ لأن سورة البقرة لم تتعرض لقوم لوط، وإنما جاء الحديث عنهم بعد ذلك، في سورة الأعراف وما بعدها. وذكر ريكولدو، أن الآيتين المذكورتين، سمحتا باللواط، حيث قال: "ماكوميت يبدو أنه وافق على اللواط المرتكب على حد سواء، مع الرجل والمرأة، في فصل – سورة – البقرة، مع أنهم – المسلمون – يغطونها بغير إبطاء، بتفاسير شهيرة"[4].

ومن القضايا التي تناولها ريكولدو، وهاجم من خلالها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قضية الجهاد. فزعم أن: "ماكوميت علَّم أن دين الإسلام سوف يبقى، ما دام النصر بسيفه مستمراً، وأن النبوة سوف تستمر، ما دام النصر لجيوشها، والمحافظة على قوتها الدنيوية، هي الجوهر الأول من هذا". وتنبأ ريكولدو، بأن دين الإسلام مصيره إلى الزوال، عندما تضعف جيوشه، وقال بأن: "الإسلام دين العنف والقتل، وأن القرآن قال: إنه لا إكراه في دين الله. لكن أيضاً، لا إكراه أعظم، من يكره بواسطة القتل". وزعم ريكولدو، أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أتباعه بالسلب، وإحراز الأسرى، وقتل أعداء الله ورسوله، وأن

---

[1] - سورة البقرة، الآية رقم (223).

[2] - سورة البقرة، الآية رقم (220).

[3] - Daniel : Islam and the west, pp.164-166.

[4] - Riccoldo : Disputatio, XIII ; Daniel : Islam and the west, p. 166.

يضايقوهم ويحطموهم بكل وسيلة؛ وأن العبودية كانت أحسن من الخيار المقدم للمسيحيين، وهو أن يدفعوا الجزية، وأن هذا دليل – بزعمه –، على التناقض في القرآن.[1]

وقال ريكولدو، بأن: "القرآن حرَّم الجدل الموجع، مع رجال الأديان الأخرى، وأمر فوق ذلك بالموت للكفار. وفي الواقع، أن الرب لا يحب خدمة قسرية. أي الإكراه، بالإضافة إلى استحسان عام بالقتل والسلب. وهذه الممارسات فعلها ماكوميت، وأصبحت سلوكاً للمسلمين فيما بعد". وادعى ريكولدو، بأن القرآن: "لا يقول شيئاً عملياً عن الفضائل، لكن يتحدث عن الحروب والقتل". وزعم أن المسلمين يرفضون أن يجادلوا، وأن الفلاسفة المسلمين لم يؤمنوا بالإسلام، ولذلك رفضوا أن يناقشوا المسألة. وزعم أن القرآن، أدنى درجة من الفلسفة الوثنية. وزعم أن القوة عند النبي صلى الله عليه وسلم، كانت بديلاً عن المعجزات. وقسَّم ريكولدو المتبعين للرسول في عصر السيرة النبوية، إلى أربع فئات: الأولى: الذين أجبروا بواسطة السيف. الثانية: الأجانب المأخوذين بالخداع الشيطاني. الثالثة: الذين كانوا موالين لمعتقدات أسلافهم. الرابعة: الذين كانوا يتطلعون إلى المبادئ الأخلاقية المنحلة. وهذا التقسيم العجيب، الذي قدمه ريكولدو، منقول بكامله من مصدره الإسباني "المضاد للفقهاء". وقال بأن العجز عن دفع الجزية، ليس مبرراً عادلاً للقتل. وزعم أن: "الكسب الشخصي لماكوميت، كان من السلب، وأن الإسلام لم يوجب إعادة ملك إلى مالكه الشرعي"[2]. وزعم ريكولدو، أن من أهم علامات العنف الإسلامي، السيف المحمول بواسطة الخطيب، عندما يصعد المنبر، وقال بأن: "ماكوميت شجع الميل إلى القتال المتأصل في قومه، عن طريق شجب الفرار من ميدان المعركة". وتساءل قائلاً: "ما هو الإثم إذا فر الرجل بعيداً، إذا كانت حياته في خطر"[3]. ومن عجب، أن هذه المفتريات التي ساقها ريكولدو، كانت المصدر الأساس، الذي استقى منه البابا الحالي بندكت السادس عشر أقواله عن الإسلام، في محاضرته التي ألقاها في بافاريا، في ألمانيا، يوم الثلاثاء 2006/9/12م، عن طريق اقتباسها من الإمبراطور البيزنطي، مانويل الثاني باليولوجس

[1] - Riccoldo : Disputatio,V, VII, VIII ; and Itinerarium, XXIX.

[2] - Riccoldo : Disputatio, IX, X, XII, XIV ; and Itinerarium, XXX.

[3] - Riccoldo : Disputatio, XIV ; and Itinerarium, XXXV.

Manuel II Polaeologus (1350–1425م). وسنرى بعد قليل، كيف وصل كتاب ريكولدو إلى هذا الإمبراطور، فنقل عنه هذه الأقوال!!!

وحاول ريكولدو أن يجعل من أقواله الآنفة عن العنف، دليلاً على التناقض بين القرآن والإنجيل. فزعم أن الإنجيل لم يسمح بأي عنف البتة، لأنه يقول: "إذا أحد ضربك على خدك الأيمن، فحوَّل له الأيسر. وإذا أراد أن يأخذ ثوبك، فأعطه رداءك أيضاً". لكن ريكولدو، لما كان يعلم أن عالمه الغربي الأوروبي النصراني ظل لأكثر من قرنين من الزمان يشن الحروب الصليبية على المسلمين، ويجرد الحملات ضدهم، حاول تبرير ذلك، فقال معلقاً على اقتباسه السابق من الإنجيل: "ولا يعارض هذا، إذا كان هناك مسيحيون سيئون، لا يطيعون هذه الأشياء"[1].

ولريكولدو آراء أخرى، شديدة العداء، لكن معظمها مكرر، فيما يتعلق بالقرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتسع المجال هنا لعرضها بكاملها. أما أخبار رحلته، التي أشرنا إليها في بداية البحث، فهي خارجة عن نطاق موضوعنا. لكن أهم ما يمكن أن نذكره هنا، هو أن ريكولدو قد لمس وشاهد على أرض الواقع، الكثير من الفضائل والشعائر والممارسات الإسلامية الرفيعة، التي اتصف بها المسلمون، بفضل دينهم. ومع ذلك، لم يستطع ريكولدو أن يفتح عينيه على حقيقة دين الإسلام، الذي أمر بهذه الفضائل، قال تعالى: ((ومَن لم يجعل الله له نورا فما له من نور))[2]. فقد كتب وصفاً بديعاً، عن ممارسات المسلمين. ومما قال في هذا الصدد: "سوف نتحدث عن أعمال محددة بين المسلمين، هي أكثر عاراً على المسيحيين منها مدحاً لأولئك الوثنيين – يقصد المسلمين –. فمن الجدير بالثناء والذكر، حماستهم للدراسة، وإخلاصهم في إيمانهم بدينهم، وخشوعهم في صلاتهم، وعنايتهم بصومهم، وشفقتهم بالفقراء، ومواريثهم التي يوصون بها قبل موتهم، والتي يشترطون فيها أن يُفتدى بها الأسرى المأسورين في أيدي المسيحيين، ما أروح توقيرهم لاسم الألوهية. ووقارهم الشديد، واحتشامهم في مشيهم، ووقوفهم وجلوسهم، وعذوبة معاشرتهم

[1] - Riccoldo : Disputatio, XVI.

[2] - سورة النور، الآية رقم (40).

للغرباء، وحسن تعاملهم مع بعضهم البعض، وحسن ضيافتهم البالغة حد الكمال، والسلام الذي يصونونه فيما بينهم". ثم يختم إشادته بفضائل المسلمين، بالقول: "إن هذه الكلمات المذكورة آنفاً، لا نسجلها لأجل إطراء المسلمين، بل من أجل إخجال المسيحيين، الذين يكرهون أن يعملوا شيئاً من أجل قانون الحياة، بينما أولئك الملاعين – يقصد المسلمين – يفعلون ذلك من أجل قانون الموت"[1].

والعجب كل العجب من ريكولدو، هو تفريقه بين عقيدة المسلمين وشريعتهم، وبين سلوكهم في واقع الحياة، الذي لا يمكن أن ينبع إلا من تلك العقيدة والشريعة، التي ربتهم وهذبتهم على ذلك السلوك الرفيع، الذي أشار إليه. وهكذا يتضح أن ريكولدو، لم يستطع أن يتخلص مما تعلمه ونشأ عليه، من كراهية وحقد على الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، تحت تأثير الصورة البشعة، التي رسمتها كتابات أسلافه السابقين، خصوصاً مصدره الإسباني. ثم اختلط بالمسلمين، فشاهد سلوكاً ومعاملة لا نظير لها، فلم يجد مناصاً للتخلص من ذلك التناقض، الذي حصل داخل نفسه، سوى بالتفريق بين الإسلام كعقيدة وشريعة، وبين تطبيق المسلمين لتلك العقيدة والشريعة في واقع الحياة.

وكيفما كان الأمر، فقد أصبح كتاب ريكولدو، الذي زعم أنه دَحْضٌ للقرآن، مصدراً للمجادلين الغربيين، الذين ظهروا بعده. وكان له أثره الكبير في أوروبا، حتى القرن السابع عشر الميلادي، كما يقول أحد الباحثين الغربيين.[2]

والحقيقة التي لا مراء فيها، أن تأثير كتاب ريكولدو على الفكر الغربي، تجاه الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وصل إلى العصر الحاضر، حين استخدم البابا الحالي بندكت السادس عشر، بعض أقوال ريكولدو عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في محاضرته المشار إليها آنفاً، فزعم أن الإسلام قام على العنف والسيف، وأن محمداً صلى

---

[1] - Riccoldo : Itineraeium, XXI, XXI, XXVI, XXIX ; Fratris Ricoldi de Monte Crucic : op. Cit. pp. 131-135 ; Savage, Henry. L : Pilgrimges and pilgrim shrines in Palestine and syria after 1095; In setton. A History of the Crusades, Vol, IV. Wisconsin, 1977, p. 53 ; Daniel : The Arabs and Mediaeval Europe, p. 215.

[2] - Daniel : the Arabs abd Mediaeval Europe, p. 238.

الله عليه وسلم ما جاء إلا بما هو: "شرير ولا إنساني، مثل أمره بنشر الدين، الذي كان يبشر به بحد السيف"[1]. وبعد أن أثارت إساءة البابا عاصفة من الاحتجاجات في سائر أنحاء العالم، أعلن أن ما قاله في محاضرته مجرد اقتباس من الإمبراطور البيزنطي، مانويل الثاني باليولوجس. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: كيف وصل كتاب ريكولدو المكتوب باللاتينية، إلى الإمبراطور البيزنطي الذي لا يتكلم إلا باليونانية؟

إن الجواب على هذا السؤال، نجده عند الأستاذ فريونس (Vryonis)، أحد أساتذة التاريخ البيزنطي، حيث قال ما ترجمته: "... وعندما قام اللاتيني البيزنطي الشهير، ديمتريوس سيدونيس (Demetrius Cydones)، بترجمة (دحض القرآن) لريكولدو، إلى اليونانية، بين عامي 1354-1360م، زوَّد المجادلين البيزنطيين بترسانة جديدة من التفاصيل والحجج. وبعد عقد لاحق، اعتمد الإمبراطور يوحنا السادس كونتاكوزين (John VI Contacozene) كثيراً، على ترجمة سيدونيس لعمل ريكولدو في دفاعه عن النصرانية وهجومه على الإسلام. ثم كان أن جاء على التعاقب، مانويل الثاني باليولوجس، فتأثر بولع شديد ببحث الأخير، وبذلك تأثر بطريقة غير مباشرة بريكولدو"[2].

ومن الذين تأثروا بكتاب ريكولدو، المستشرق الإنجليزي همفري بريدو Humphrey Prideaux (1648-1724م)، الذي جاء بعد ريكولدو بنحو أربعة قرون، فكتب كتاباً بعنوان: "الطبيعة الحقيقية للخداع كما يتجلى كاملاً في حياة محمد" (The True Nature of Imposture Fully Dispayd in the life of Mohamet). وهو كتاب شديد التعصب ضد نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، حيث اعتمد بشكل رئيسي وأساسي على كتاب ريكولدو، وذكر في مقدمته أنه هدف من كتابه تبرئة المسيحية من الخداع،

---

[1] - انظر: مجلة المجتمع، الكويت، العدد 1720، 1-7 رمضان 1427هـ/ 23-29 سبتمبر 2006م، ص 18-21.

[2] - Vryonis. Speros, Jr : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization From the Eleventh Through the Fifteenth Century (Bereley los Angeles (London, 1971), p. 424 ; and Daniel : Islam and the west, p. 403.

وشرح أن الخداع موجود في الإسلام وسيرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم[1]. وقد قال دانيال بريدو، بأنه يفوق أي كاتب وسيط في خبثه.[2]

ومن عجب، أن كتاب همفري بريدو أصبح بعد ذلك من أهم المصادر لجورج بوش (1796–1859م)، الجد الأكبر لعائلة الرئيس الأمريكي السابق، جورج دبليو بوش، الذي كان راعياً لإحدى الكنائس في أنديانا بولس، وأستاذاً في اللغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك، وله مؤلفات عديدة، من أهمها كتاب بعنوان: "محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين". وقد ترجم الكتاب إلى العربية، الدكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ، ونشرته دار المريخ في الرياض، في سنة 2004م.

وينطوي هذا الكتاب على كراهية شديدة للإسلام والمسلمين، ويعتبر اليوم من أهم مصادر المحافظين الجدد في أمريكا عن الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد صرح جورج بوش الجد في كتابه هذا، بمصادره الأساسية، ومن أهمها كتاب بريدو عن النبي صلى الله عليه وسلم. وبذلك يكون جورج بوش، قد تأثر بصورة غير مباشرة، بكتاب ريكولدو.[3] ومن أمثلة ما جاء في كتاب بوش، نقلاً عن همفري بريدو، الذي انتحلها بدوره عن ريكولدو، قول بوش: "استغل النبي نبوته، بوصفها أداة لإشباع الرغبات الحسية"[4]، ووصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه كان نبياً: "مكلفاً بفرض العقيدة بقوة السيف. وبالتالي، فقد أصبح السيف هو الأداة الحقيقية لفرض رسالته"[5].

ومن الذين تأثروا بكتاب ريكولدو، مارتن لوثر Martin Luther (1483–1546م)، زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي، فترجمه إلى اللغة الألمانية، وأضاف إلى الترجمة مقدمة

---

[1] - Prideaux, Humphrey : The True Nature of Imposture Fully Disployd in the Life of Mohomet, with a Discourse annexed for the Vindicating of Christianity, (London, 1697).

[2] - Daniel : Islam and the west, p. 309.

وعن تأثره بريكولدو، انظر: المرجع نفسه، الصفحات: 105–106، 310، 318، 323، 405.

[3] - محمد صلى الله عليه وسلم مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين، جورج بوش، ترجمه وحققه وعلق عليه عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة الرياض، 2004م، ص94.

[4] - نفسه، ص358.

[5] - نفسه، ص207.

وملحقاً، أبدى فيهما قناعته، بأنه لا يوجد حل لما أسماه "المشكلة الإسلامية"؛ وأن المسلمين لا يمكن أن يتنصّروا؛ لأن قلوبهم – كما زعم – قاسية، ويحتقرون الكتاب المقدس، ويرفضون الحجة؛ وأنهم متشبثون بنسيج من أكاذيب القرآن. وزعم أنه لم يكن يتصور، أن المسلمين يعتقدون هذه الحماقات.[1] ولعل اعتناق مارتن لوثر لآراء ريكولدو، تفسر لنا عداء البروتستانت للإسلام ونبي الإسلام، وتعاطفهم مع الصهيونية في الوقت الحاضر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

[1] - Southern : op. cit. pp. 104–105, and note 57.